إطلالة

الجانب الخطأ من التاريخ للشعوب رأيُها أيضاً

ما يطالعنا اليوم ليس الفلسطينيين الذين تحت النار فقط، بل الشعوب العربية الواقعة بين براثن حكوماتها، ومعهم تحت القمع الأجيال الطالعة من شباب الجامعات الغربية

فوّاز حداد

الحرب بين الاحتلال الإسرائيلي والفلسطينيّين مرشّحةٌ لتُصبح حرباً أبديةً. هذا هو المتوقع. ليس هذا الاعتقاد جديداً، بدأ قبل ثمانية عقود. لا بأس بالتشاؤم، ما يحدث يُشجّع على هذا التفكير، وإذا كان الظنّ ألّا تكون أبدية، فالغرب سيضع حدّاً لها في حال غادر الفلسطينيون بلدهم طواعية، وهو الحلّ المتداوَل فعلاً، وليس علناً، لبقاء «إسرائيل» آمنة. ما يجعله غير قابل للمناقشة اعتبار الفلسطينيّين من نوع البرابرة، يستحيل استئناسهم أو تحضيرهم إنسانياً، وهو رأي فصل.

إن لم يوجد فسوف يُخترَع

مرجعية الحضارة الغربية تتحدّد بهذه الدول؛ أميركا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا. حكومات هذه الدول أصدرت حكمها بالإعدام على الفلسطينيّين، بعدما أصبح مجرّد وجودهم يُشكّل «معاداة للسامية». أمّا العرب، فقد وُضعوا تحت الرقابة، الغرب يراقب سلوك حكوماتهم التي لن تُحرز تقدّماً إلّا إذا استطاعت إقناع شعوبها بأنّ الفلسطينيّين يُعطّلون مسيرة الازدهار العربي. فبدأت حكوماتٌ عربية بتجنيد صحافتها وإعلامها ومثقّفيها في هذا الاتجاه، دفاعاً عن الجار المهذّب «إسرائيل»، الذي لا تجمع أغلبهم حدودٌ معه، ولا حرب، وإنّما تاريخٌ من الجوار الطيّب الممتدّ في التاريخ، ما اضطرّهم إلى التنقيب عن أسانيد لمشوار السلام التليد المشرف، إن لم يوجد فسوف يُخترَع، وللدلالة على سلامة نياتهم، برهنوا على أنّ اليهود ظُلموا على أرضنا منذ عصر الجاهلية وما تلاه من عصور إسلامية، وحان أوان استدراك أخطاء الماضي وتصحيح هذا الظلم. يمكن فهم الغرب وكيف يفكّر، وأسبابه التي لا تعدم الكثير من المبرّرات، فكما هو معروف، ارتكب جرائم بحقّ اليهود، إن لم يقُم بحرقهم، فقد سلّمهم إلى المحرقة. هذه الجرائم عذّبت الضمير الغربي، ولا يمكن محوها، إلّا بإقامة دولة لهم على الجانب المقابل لأوروبا، ليس بلا مقابل، تلك المنطقة مطلوبٌ إخضاعها بزرع كيان يكون بمثابة قلعة متخمة بالسلاح والنووي، ومتفوّقة بالتكنولوجيا والديمقراطية، ومشبعة بالعنصرية، مع صلاحية تسمح لها بتطهير البلد من أهاليه وطردهم منه، وتأديب العرب بتهديدهم: أنتم مَدينون لنا بوجودكم. هذا القول لا يعدم قدراً غير قليل من الصحّة.

بحُجّة العقود الخاسرة

إذن، على الحكومات العربية أن تقف في الجانب الصحيح من التاريخ المحتكَر من الغرب. لكنّها تنسى أنّها تسارع إلى الجانب الخطأ من التاريخ، وعلى مسافة لا تُوحي بأنّها سواسية مع «إسرائيل» الوكيل الحصري والوحيد للغرب، فلا النفط يمنحها أفضلية ولا ميزة، ولا النبّات الطبية، ولا حتى الاستسلام، أو فتح الأبواب على مصراعيها للغرب، على الرغم من استعدادها لتقديم تنازلات ثقافية، سواء بإعادة النظر في التاريخ، أو تقييد الإسلام، والوعد بتجديده.
حُجّة هذه الحكومات، القناعةُ المتولّدة عن العقود الخاسرة من الصراع العربي الإسرائيلي، كانت هزيمة 1967 توطئةً لغسل أيديهم من فلسطين، حتى أنّ انتصار ما يُدعى بحرب 1973 لم يُفلح باسترداد الثقة بقدراتها، فأصبحت مهزومةً بلا حرب، إلى حدّ باتت تخشى فيه أن تنتصر، غدا مجرّدُ التفكير بالنصر قد يرتدّ عليها بإسقاطها، لا تنشد إلّا البقاء، باسترضاء الغرب صاحب السطوة على العالَم، ما دام أنه يَسنّ القوانين ولا يتقيّد بها، ويُعطي دروساً عن حقوق الإنسان، لا يعبأ بها، وآخر ما فعله في غزّة، كان على الضدّ من الإنسانية والحقّ والقانون، تحويل الضحية إلى مجرم، والمجرم إلى ضحية.

عداءٌ مطلَق مع الشعوب

الذي لا يُعمل حسابه هو أنّ الشعوب - ولو أنّ هذه التسمية أصبحت غير واردة، وهذا عائد لسمعتها السيّئة، فقد ألصقت بها الهزائم كلّها باعتبارها مرتع الجهل والفقر والمرض - هذه الشعوب لديها رأيها، خاصّة أن الصورة المشرقة للغرب قد انهارت مراراً في تعاملها الوثيق مع الدكتاتوريات، كذلك الدعم الدائم لـ«إسرائيل»، الذي تجلّى في الحرب على غزّة، في الصمت والدفاع عن الإبادة الجماعية. هذه الشعوب لم تُخدع، إذا كان الغرب على وفاق مع حكوماتها، فالشعوب على عداء مطلق معه. معيار الوقوف على الجانب الصحيح من التاريخ، هو الانحياز للعدالة، ما يطالعنا اليوم ليس الفلسطينيين الذين تحت النار فقط، بل الشعوب العربية الواقعة بين براثن حكوماتها، ومعهم تحت القمع الأجيال الطالعة من شباب الجامعات الغربية، هؤلاء يشكّلون ذخيرة المستقبل، ولو كانت العدالة تدفع الثمن حالياً.

(روائي من سورية)

> معيار الجانب الصحيح من التاريخ هو الانحياز للعدالة
>
> حكوماتٌ عربية لا تنشد إلّا البقاء باسترضاء الغرب
>
> تُحاول إقناع شعوبها بأنّ الفلسطينيّين يُعطّلون «الازدهار العربي»

طفلان فلسطينيان في طريقهما إلى المسجد لتأدية صلاة عيد الأضحى، البريج وسط قطاع غزّة، 16 حزيران/ يونيو 2024 (Getty)

تصويب

ليس من الأسطورة

باسم النيريص

ليس من الأسطورة الحديث عن انهيار الديمقرطيات في الغرب، وليس من الخطل الفكري أن نتكلّم عن انعدام مستقبلها. لقد كانت هذه نتاجَ الرأسمالية، والرأسمالية ذاتُها، كما عهدناها منذ قرون خلت، نراها اليوم وهي في أواخر طورها التاريخي. سيكون المستقبل ما بعد رأسمالي (أي فائق التوحّش)، ولن تكون فيه ديمقراطيات، ولا حرّية حقيقية من أي نوع، خلا حرّية استفراد السوق بمصائر البشر، واكتساب المليارات، دون إنتاج سلع، بالبقاء فقط على الشاشة، في نوع من المضاربات والمقامرات تنتمي لما بعد «الرأسمالية المالية». هذه التي تلفظ الآن أنفاسها. جيف بيزوس هو نموذج اليوم، ومثالٌ على ما يمكن أن يحدث في المستقبل القادم. ولسوف يُفرز هذا المستقبلُ غير البعيد نماذج عليا من بيزوس، بحيث يمتلك الواحد منها ما لا تمتلكه دولة، بكلّ ما فيها وما عليها من موارد وبشر وطبيعة وحيوانات. المضاربات، وعقيدة الحرب على الملوّنين، هما عمودا المستقبل في الغرب المتّجه يميناً، فيميناً فاشيّاً. وهذا يعني تكرار المحاولات لإفناء البشرية، وتقليص أعداد وأعمار بشرها الأحياء، كي تبقى نخبةٌ بيضاء قليلة، سيّدةً العالم، والمتّمتعة حصرياً بموارده الفائضة. مع هاجس أخير يتلبّسني: ماذا لو أكّدنا مع لينين أنّ الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، وماذا لو قلنا بلا لينين إن الصهيونية أعلى مراحل الإمبريالية، الآن؟

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

العجز عن الاعتراف

ليست المشكلة التي يعيشها العالم اليوم مع الاحتلال الإسرائيلي فقط، بل إنّ المشكلة أيضاً هي مع حكومات تتشبّث بمواقفها ولا تعرف كيف تغادر مواقع ترسّخت فيها... حكومات عاجزة عن إجراء تحوّلات هي اعترافٌ بتاريخ مولِمٍ جرّ كثيراً من النكبات، بينما كلّ ما تفعله هو التظاهر بمواقف إنسانية، لا تعدو أكثر من ذلك النفاق والرياء اللذين ابتُليت بهما سياسات ما زالت أسيرة ماضٍ كان من نتاج جرائم الرجل الأبيض.

مع غزّة

عبد الستار جبر

بحاجة إلى موقف عربيّ أكثر قوةً ومواجَهة

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء

بغداد ـ العربي الجديد

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوانٍ إبادةٍ على غزّة؟

يفتح العدوان على غزّة جرحاً في الذات، جرح الصدمة بفقدان الإنسانية، واستشراء الروح الوحشية البشعة التي تفتك بالآخر؛ أيّاً كان، طفلاً أو امرأة، وكأنّ مارد الانتقام جنّ جنونه، ولا غاية له سوى الإبادة والتطهير العرقي، فحوّل غزّة إلى مسرح للقتل اليومي الممنهَج؛ مسرحٌ دموي حيّ يُجبرنا فيه يومياً على مشاهدة دراما الوحشية البشرية، ويجعلنا شهوداً متخاذلين في إنقاذ الأرواح التي تُزهقها آلة القتل الإسرائيلية.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

إنّنا، إزاء مشاهد الدمار اليومي التي يبثّها الإعلام، تخترقنا رسائل العدوان لتهزّ وجداننا وتنتهك سلامنا، فتتحوّل إلى مسلسل يومي يريد تغذيتنا بصور العنف الدموي وخراب الديار، ليُحوّل فلسطين في أعيننا إلى خرائب وأطلال، ويعوّدنا على اجترار مشاهد القتل والإبادة، وهو ما يدفع إلى عكس مراده، فتنتفض الكرامة والحس الأخلاقي بالإدانة والشجب والاستنكار والرفض القاطع.

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

الأدب ضميرٌ حيّ، صوتٌ آخر للمواجهة، إنّه رسالة أخلاقية لا تقبل المهادنة والمساومة، وهو صرخة العدالة ضدّ الظلم والطغيان، صرخة السلم والسلام ضدّ العنف والإبادة، إنّه صوت من لا صوت له، صوت الأطفال والنساء العاجزين وهم ينتظرون دورهم ليموتوا. إنّه صوت الإنسانية التي تُدين الوحشية وتسعى لإيقاف آلة القتل البشعة.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أن تستيقظ روح الإنسانية في النفوس، فتنطلق موجات الاحتجاج في شوارع العالم قاطبةً، وتتحوّل إلى مدّ أخلاقي جارف يوقف عجلة القتل الصهيوني، ويُحمّلها مسؤولية الجرائم، ويصرخ في وجهها بصوتٍ واحد، صوت الرفض القاطع والإدانة، ويُخضعها للمحاسبة والمعاقبة، فيُرسي بذلك قواعد العدالة للنظام الدولي المنشود.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

ليس الصمود عنواناً لمجد غزّة فحسب، بل أصبحت غزّة أيقونة للتضحية والفداء، والحياة فيها ليست كالحياة في بقية مدن العالم؛ إنّها حياة تنبثق من رحم الموت، حياة العزة والشموخ، فحيثما يُخيّم الموت فيها في كلّ خطوة من شوارعها وبيوتها، يولّد إصرار على الحياة الأبيّة، وتُولد حياة الكرامة، وتستنهض طاقتها من إرادة فلسطين التي لن تُباد مهما أثخن فيها الأوغاد القتلة والدمار.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

ليست القوميّة رابطاً وجدانياً وحيداً يدعو للتآزر والتكاتف والتضامن مع أهل غزّة وهُم يتعرضون للإبادة الجماعية، بل الرابطة الإنسانية وما تستوجبه من موقف أخلاقي ثابت وحاسم تجاه الأفعال المشينة لآلة القتل الصهيونية، وهو ما يعني أنّ الموقف العربي له دافعان كبيران للوقوف مع فلسطين: القومي والإنساني، فهل ارتقى هذا الموقف العربيّ إلى مستوى الحدث الجَلل الذي يجتاح كيان الجسد الفلسطيني المثخَن بالقتل والدمار؟ نحن بحاجةٍ إلى موقف عربيّ أكثر قوّةً وتحدّياً ومواجَهة.

> إرادة فلسطين لن تُباد مهما أُثخن فيها قتلاً وتدميراً

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

من الصعب أن تخاطب طفلةً خسرت عائلتها، ففقدان العائلة وجعٌ كبير، وثلمة في الروح، وغصّة في القلب، لكن دارين بقيت لتكون شاهداً على الوحشية، وبرعماً يكبر وقد سقته دماء العائلة بالتضحية لتصمد غزّة، وتكون دارين أيقونة للطفولة الفلسطينية التي تُنتهك براءتها وسلامها وسعادتها، لكنّها تبقى امرأة فلسطينية بعمر الطفولة، فتاة نضجت قبل أوانها، وعرفت أنّ الوطن أغلى من كلّ شيء.

عبد الستار جبر

بطاقة

أكاديمي وناقد ومترجم عراقي من مواليد بغداد عام 1969. صدر له في القصّة: «وتأخّر الذوبان» (2000)، وفي الشعر: «عصفور الصّمت» (2009)، وفي النقد: «تجلّيات اللّغة البصرية: قراءة في مجموعة 45 منوي لمحمد خضير» (2001)، و«كيف نُحلّل الحكاية؟ التراث والتأويل في النقد العربي الحديث، عبد الفتاح كيليطو أنموذجاً» (2019)، و«الهوية والذاكرة الجمعية: إعادة إنتاج الأدب العربي قبل الإسلام، أيام العرب أنموذجاً» (2019). له في الترجمة: «إشكاليات الذاكرة والسيرة والمغازي: مقاربات استشراقية في تاريخ الإسلام المبكّر» (2020)، و«كيف ندرس الشعر العربي القديم: مقاربات استشراقية في جدل السياق والشعرية» (2021)، و«كيف ندرس الأدب» (2022).

إضاءة

أرشفة رقمية لإرث لم يبقَ منه الكثير

أحوال العمارة السورية في القرن العشرين

أعلنت مؤخّراً مُبادرة «أرشيف العمارة الحديثة في سوريا» عن إطلاق المنصّة الإلكترونية التي تُتيح أرشيف المجموعة باللغتين العربية والإنكليزية

ساحة المرجة في دمشق عام 1965 (Getty)

بيروت ـ العربي الجديد

في صيف العام الماضي، انطلقت مبادرة «أرشيف العمارة الحديثة في سوريا» من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، والتي تُعرّف عن نفسها بأنّها «مبادرة بحثيّة توثيقية تسعى إلى مشاركة التجربة المعمارية السورية في القرن العشرين ضمن سياقها التاريخي بما هي جزء من المشهد الثقافي الأوسع للمنطقة والعالم، وتوضيح تقاطعاتها مع مختلف الحقول السياسية والاقتصادية والفنّية». وفي الثامن من حزيران/ يونيو الجاري، أعلنت المُبادرة عن إطلاق منصّة إلكترونية تجمع أرشيف المجموعة، عبر موقعها الخاص على الإنترنت (www.amasyria.com)، والذي يتوفّر باللغتين العربية والإنكليزية؛ حيث تتميّز المنصّة بواجهة بسيطة مُقسّمة إلى ستّة تصنيفات: «من نحن»، و«الأرشيف»، و«تواصلوا معنا»، و«المعماريّون»، و«المشاريع»، و«المسابقات المعمارية». في الخانة الأولى، «من نحن»، يُوضّح القائمان على المشروع: أحمد صلاح وميرما الورع، الغاية من المنصّة التي تُضيء المشاريع المعمارية والحضرية والفنّية المُصمّمة في سورية أو من قبل معماريّين ومُمارسين سوريّين، والوثائق المُؤرشفة رقميّاً عن هذه المشاريع، من الرسوم المعمارية إلى الصور القديمة والحديثة والمستندات الرسمية، وكذلك التاريخ الشفوي كما يرويه المعماريّون أنفسهم أو أفراد من عائلاتهم وزملائهم.

أمّا في «الأرشيف»، فنجد توثيقاً لكامل أرشيف المعمار السوري الراحل نزار الفرّا (1933 - 2020)، والذي يتألّف من أكثر من 100 مشروع و1500 وثيقة، بالإضافة إلى أكثر من تسعين عدداً من مجلّة «المهندس العربي» الصادرة عن «نقابة المهندسين» في سورية منذ عام 1961. ونقرأ في «المسابقات المعمارية» قصّة مُسابقة مشروعين، الأوّل لم يُنفّذ: «مسابقة محطّة انطلاق الباصات والسيّارات» في دمشق (1967)، والثاني رأى النور بعده بثلاث سنوات، وهو «مبنى خزانة تقاعد نقابة المهندسين» في اللاذقية.

وتحت تصنيف «المعماريّون»، نقع على توثيق لسيرة خمسة عشر معمارا سوريّا، بما في ذلك أبرز المشاريع الهندسية التي وقّعوها، والكتب والمؤلّفات التي وضعوها، ومن بينهم: عبد الرؤوف الكسم (1932)، وشارل كسّاب (1945 - 2024)، ويول شنيارة (1942)، ووهبي الحريري الرفاعي (1914 - 1994)، ويوسف أبو حديد (1943 - 2003)، وبرهان طيّارة (1935 - 2018)، ومأمون الورع (1945)، وبشير مهندس (1931 - 1995).

> تُضيء المنصّة 18 مشروعاً معماريّاً من بينها «مكتبة جامعة دمشق»

تُضيء المنصّة 18 مشروعاً معماريّاً من بينها «مكتبة جامعة دمشق»، حيث نقرأ حكاية هذا المشروع التي تعود إلى عام 1952 عندما «أوكَل الدكتور قسطنطين زريق، رئيس جامعة دمشق حينها، تصميمَ بعض منشآت الجامعة إلى المعمار السوري خليل الفرّا، وكانت مكتبة الجامعة المركزية التي اتُّخذ قرار العمل بها عام 1952 هي المشروع الثاني في هذا الصّدد. كُلّف زريق بانتقاء الموقع المناسب لهذا المشروع، ولكن كانت الخيارات محدودة. فقد وقع الخيار الأوّل في القسم الطبّي والإداري من حرَم الجامعة، والذي كان غير صالح لكونه مكتظّاً بالمباني وفُضّل أن يبقى مخصّصاً لطلّاب الطبّ فقط. أمّا الخيار الثاني فكان في القسم الجنوبيّ من حديقة أمام كليّة الحقوق (الثكنة الحميدية سابقاً) بالقرب من المدخل الشرقيّ لمجمّع كليّات جامعة دمشق في منطقة البرامكة، وهو الموقع المختار لمشروع المكتبة».

فعاليات

يحتضن «متحف سرسق» في بيروت، عند السادسة من مساء الجمعة 28 حزيران/ يونيو الجاري، حفلَ إطلاق ثلاثة كتب من إصدارات «خطّ كتب»، المُتخصّصة بالتصميم والخطّ العربي. تتناول الكتب تجارب ثلاثة فنّانين: منير الشعراني (الصورة) من سورية، وناجي شاكر من مصر، ومنى باسيلي صحناوي من لبنان.

عند السادسة والنصف من مساء الخميس المقبل، تُقدّم المغنّية وعازفة الغيتار اللبنانية مي نصر (1965/ الصورة) حفلاً غنائيّاً في فضاء «جدل للمعرفة والثقافة»، بعمّان، يتضمّن مجموعة أُغنيات سبق لصاحبة البوم «للغالي» (2008) أن قدّمتها؛ مثل: «يا ستّي» و«ما تسالي» و«نصارع الظلام»، إلى جانب أغنية جديدة أهدتها إلى أطفال غزّة بعنوان «البنت الزغيرة».

ضمن سلسلة ندوات «سقط القناع عن القناع» الذي تُخصّصه «مكتبة تكوين» في الكويت العاصمة للإضاءة على راهن القضية الفلسطينية، تُقدّم الباحثة خديجة الشمري محاضرة بعنوان «أنثروبولوجيا الإبادة الجماعية»، تتناول فيها الإبادة الصهيونية في غزّة بوصفها امتداداً لماضي جرائم العصابات الصهيونية.

حتى الحادي والثلاثين من تمّوز/ يوليو المُقبل، تتواصل، في «دار الأوبرا» بالقاهرة، فعاليات الدورة الرابعة والأربعين من «المعرض العامّ» للفنّ التشكيلي في مصر. يشارك في الدورة قرابة 300 فنّانة وفنّان. وإلى جانب عرض أعمال للفنّانين المشاركين، تتخلّل التظاهُرة ندواتٌ وورشات عمل حول الفنون وواقعها.